الفصل السابع

العقل والإبداع الفنى

١/ تعريف العقل وماهيته وقدراته:ـ

في الباب الثاني حولنا تأكيد دور العقل في الإبداع الفني من خلال فصوله الثلاثة وفي هذا الباب " الثالث " سنقتصر علي العقل الإنساني من خلال فصوله الثلاثة بأن للعقل قدرة إدراكية ومقدرة إبداعية مكنته من إبداع وإبداعاته من خلال عقله الإبداعي.

العقل مصدر عقل هو الحجر والرابط والملجأ والحصن..كما قيل أن العقل هو التميز وبه يفترق الإنسان عن سائر الأحياء وبه يفهم الإنسان نالا يفهمه الحيوان[١].

والعقل هو العلم والحجر، والعقل هو القوة المهيأة بقبول العلم، وبه يستنبط الفاعل المور[٢]. والعقل هو القوة التي يتم بها الإدراك[٣] يسمي الفهم والبيان عقلًا، والعرب تسمي الفهم عقلًا،لأنها ميزته وضبطته وهو البصيرة والمعرفة[٤] ومن خلال هذه التعريفات للفظ العقل إن هذه الكلمة تفيد الربط وأن الربط يتم بين رابط وهو ملكة في الذات البشرية ومربوط هو شئ من الأشياء الموجودة الحسية والمعنوية، والأنسان ذو قدرة مكنته أن يخرج الأشياء من شخصياتها ومواضيعها لتصير أفكارا هي صور عن تلك الأشياء أو معاني تحدد وجودها وهو الحاصل بين الربط والمربوط وهو العقل ويقول علي شلق أن العقل لا يسكن نفسًا أو دماغًا من الأجسام، بل هو شعاع من العقل، يحل في الجسم ويعود أو يذهب بفناء

---

(١). أبن منظور، لسان العرب ــ دار صياد بيروت م د ص ٨٤٥

(٢). الزبيدي، تاج العروس ــ الصحاح ج ٨ ص ٢٥.

(٣). الجوهري، الصحاح ج ٥ ص ١٨٦٩.

(٤). علي شلق، العقل في مجري التاريخ بيروت ص ٢٩ ص١٢

الجسم، إلا إذا رمز إليه الإنسان في كلمة أو لوحة أو نحتية أو معزوفة وما شاكل من أمور الفكر [1]، فإن صح ما ذهب إليه علي شلق بأن العقل هو رمز مأسور في عمل إبداعي، يؤكد ما نسعي إليه في إثبات أن العمل الإبداعي ما هو إلا نتاج عقلي علي شكل فكر " مجمد " يحركه ويستوضحه المتلقي عبر تذوق ذلك العمل الفني من خلال المسافة الفكرية والتي أُسر فيها المتلقي أثناء تلقيه للعمل الفنـــي، وذلك العمل الفني الذي لم يكن مرئيًا ولا محسوسًا فحركة المبدع وحولـــه إلـــي عمل فني متحرك علي أشكال مرئية أو مسموعة أو محسوسة من خلال المساحة الإبداعية للفنان والتي كان مأسورًا فيها أثناء فعل الإبداع.

والعقل يطلق عليه أحيانًا اسم الفهم Understanding وهي تسمية مناســبة لأن طبيعة الأشياء تكمن Stadunder تحت صفاتها الظاهرة التي تفهمها الحــواس، والفهم يستطيع كذلك أن ينفذ إلي العلة التي يرتكز عليها الأثر والــذي تدركــه الحواس فمن هنا فتسمية الفهم مشتقة من قدرة العقل علي معرفة ماهية الأشــياء وعللها،، والعقل هو المسئول عن الوحدة التي نحس بهــا فــي جميــع أحوالنــا وأفكارنا وأحاسيسنا وعواطفنا[2] يتبين لنا أن العقل هو القوة التــي يــدرك بهــا الإنسان كل مدركاته وبه أفترق عن سائر الكائنات، وأن للعقل وجودًا حقيقيًا في الإنسان حيث لا يختلف إثنان في وجوده إلا إننا نجد الإختلافات والتناقضات التي نجدها في التفسيرات والبرهنة علي هذا الوجود العقلي يولد الإنسان وفي فطرته مبادئ أوليه تقام عليها بعدئذ كل طرائق البرهان، فالعقل فطرة في الإنسان وهي غريزة عند الحيوان، وموهبة عند الإنسان وهبها الله في الإنسان حيــث يقــول تعالي (وعلم ادم الأسماء كلها)[3] أعطيت لآدم أبا البشرية القدرة علي تــسمية الأشياء كلها، والتسمية مقدرة عقلية لفهم الأشياء لأن التسمية عمل عقلي معرف

---

(١). علي شلق، العقل في مجري التاريخ بيروت ص ٢٩ ص١٢

(٢). أغروس ــ العلم في منظور الجديد ــ الكويت ص ٣٤ ــ ٤٢

(٣). سورة البقري الآية " ٣١ "

ومميز.فالعقل الإنساني موجود وكامن ومفطور عليه وقابل للتطور والتجريب، وينمي بالاكتساب والعمل، ويعمل لهدف مقصود معين من خلال الإدارة.

فالعقل حركة إنتقالية تنتهي إلي هدف منشود ومقصود[١] فالإنسان والقط والطائر والشجرة والزهرة كلها موجودات، فالجمع بين مفرد قط ومفرد طائر في لأسرة واحدة (حيوان) يستلزم تجريد القط من صفاته المميزة ليدخلا في أسرة واحدة (حيوان)، وكذلك زيد وعمرو أناس تجمعهم معني إنسان، وهكذا يستطيع العقل من الإنتقال من المفرد إلي العام، ومن المعين إلي الجريد، وهذه الحركة العقلية في تحليلها للظواهر المعينة، فمن خصائص العقل القفز من المفرد إلي العام ومن المتقين إلي المجرد[٢] الإنسان هو جسم ونفس وعقل، والنفس الإنسانية تستخدم العقل والعقل يستخدم أجهزة الجسم الظاهرية منها والباطنية، ليس للعقل جسم أو مادة، فهو شئ اخر لا مادة له إنه تلك الطاقة الحيوية العارفة، أما تلك الأجهزة التي يحماها الإنسان فوق كتفيه والحيوان في مقدمة رأسه، والنبات في أعماقه، إنما هي أجهزة ذلك العقل[٣]

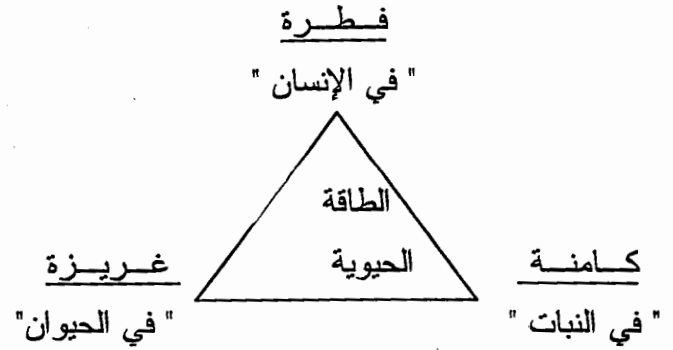

شكل رقم (١٠).. الطاقة الحيوية الكامنة

---

(١). زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول ــ دار الشروق بيروت ص ٣٦٢

(٢). نفس المرجع السابق بنفس الصفحة.

(٣). أنظر الشكل رقم (١٠) الطاقة الكامنة.

هذه الطاقة كامنة في النواة في كل خلايا الكائنات الحية. وهذه الطاقة كامنة في النبات لإنبات البذرة الحية حتى تنمو وتزهر وتثمر، وهي كامنة في أعماق الحيوان الباطنة كقوة غريزية، ويظل كقوة عقلية باطنة (غريزة) راعيًا له وموجهًا له طوال حياته.

وهكذا الإنسان يستخدم قواه المفطورة فيه من النطفه الأولي حتى إنفصاله عن الشيمة وتستمر معة كقوة عقلية تتنازعه قوتان باطنية وظاهرة ومن خلالها يشرق العقل الإنساني فتتكون العقول الثلاثة من تلك القوة المفطورة في الإنسان. أما البرهان في ماهيته ومعطياته فهي من المشاكل التي عقدت المشاكل الفلسفية، لأن طلب البرهان وقد يكون مستحيلًا، وقد يعوق سير السلوك العملي في مجراه الطبيعي

وعدم إثبات وجود الشئ لا يعني عدمه فهناك في حياة الإنسان أمور واضحة لا ينكر الإنسان وجودها علي الإطلاق ولكنه يظل دائمًا عاجزًا عن اثباتها،فهل يعني ذلك عدم وجودها [1] مثلًا نجد أن حجج " زينون " لبطلان الحركة ما زالت لها جدتها فالبرغم من منطقية حججها فلا يشك احد في ظاهرة الحركة، فلا يمكن أن أقول بأني لن أتمكن من الصعود إلي داري، لأني سوف أصعد النصف، ثم النصف.. وهكذا إلي ملا نهاية، علي حسب نظرية زينون في بطلان الحركة، وهذه احجج إن طبقت عمليًا فهي مستحيلة، فهي تثبت كحجة وتبطل كفعل، لأني فعليًا سوف أصعد لداري فحجة زينون باطله فيالحركة عند الجريب، لأن الذي صعد النصف قادر علي صعود النصف الآخر، والذي يقطع نصف المسافة قادر علي قطع الباقي، والذي يبدأ بالحركة يكون في إمكانه إتمامها وإلا لما إبيتدأ في الحركة من بدايتها، والحجة تقول " غن الذي قطع نصف المسافة...." فقطع نصف المسافة هي في أصلها حركة، إذن الحركة غير باطلة بل إن فرضية زينون في الحركة هي الباطلة ولا قياس عليها وما نقصده في هذا المثل بأنه لا

---

(١) فؤاد زكريا، نظرية المعرفة ص ١٤٢.

يمكن البرهنة بالاستدلال العقلي بمجموعة من الأفكار الفرضية وحدها لشئ يدركه العقل بالفعل، لأن الأفكار وحدها لا تثبت وجود الشئ المدرك. أما البرهان فيكون في الحالات التي يعتذر فيه الإدراك إدراكه وهذه يثبت لنا أن للعقل إدراكات لا تحتمل البرهنة لأنها موجودة بالفعل وبهذا يستحيل البرهنة في ماهيته، وبالتالي في ماهية العقل الإبداعي.

القدرات العقلية:ـ

القدرة نوعان قدرة طاقة ـ الطاقة الحيوية الكامنة وفيها يشترك الإنسان مع باقي الكائنات، وقدرة بمعني تستخيري وهي القدرة القادرة علي تسخير تلك الطاقات طبقًا لقوانين تنظيم وجودها وما تمليه الحاجة الإنسانية لبقائها وتطورها ورقيها وإخراج القوي الإبداعية الكامنة إلي حيز الوجود، وهذه القدرة التسخيرية خاصة بالإنسان لأنها تزاوج بين القدرات العقلية الفطرية والمكتسبة.

القدرة العقلية كامنة كالقدرات الجسدية يستطيع من خلالها التعرف عما حوله بمكوناته وأحداثه،وخزن المعارف وتمييزها وإسترجاعها وتوظيفها، وتتفاوت هذه القدرات قوة وضعفاً من شخص لآخر وعند الشخص الواحد في فترات مختلفة[1] يولد الإنسان مزودًا بالقدرات العقلية التي تحتاج إلي تنمية وتدريب وهذه القدرات نحصرها في الأتي: ـ

١/ قدرة التأويل: إدراك التطبيقات العملية التي تقابل العزيزات النظرية.

٢/ قدرة التدبر: القدرة علي ربط بين المقدمات والنتائج.

٣/ قدرة التذكر: إسترجاع الخبرة والتخيل.

٤/ قدرة التفكر: استخدام المهارات للوصول إلي الحقيقة.

٥/ قدرة الشهود: شهود الحقيقة الإدراكية.

٦/ قدرة النظر: الكشف عن المجهول.

---

(١) عرسان الكيلاني ـ مفومات الشخصية المسلمة، كتاب الأمة ـالدوحة ص ٥٠

٧/ قدرة الحكمة: تحويل العلاقات إلي تطبيقات.

٨/ قدرة الإبصار: إسترجاع الكامن من الكائن.

٩/ قدرة التفقة: القياس والإستدلال[١]

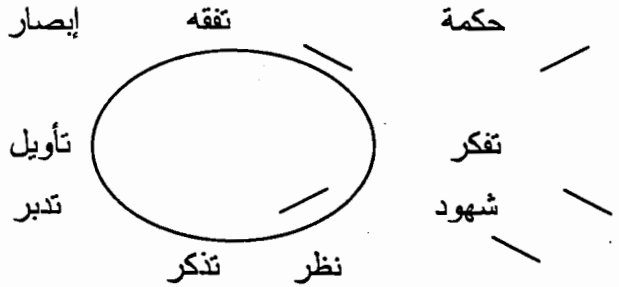

شكل رقم (١١)... القدرات العقلية.

وعلية يمكن لنا تقسيم هذه القدرات إلي ثلاثة مكونات:

١/ العقل الظاهري يحوي: الشهود والنظر والتفكير

٢/ العقل الباطني يحوي: التذكر والتدبر والأويل.

بقيت لنا ثلاثة قدرات لا تخدل تحت المكونين السابقين فلابد لنا من عقل ثالث يحوي هذه القدرات وهو: ــ

٣/ العقل الثالث (الإبداعي) ليحوي: الحكمة والإبصار والتفقة.

---

(١) أنظر الشكل (١١) القدرات العقلية..... راجع العملية الإبداعية ــ فصل البرابع

شكل رقم (١٢)

مكونات القدرات العقلية

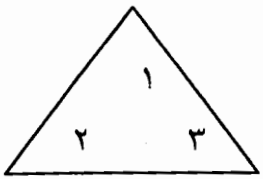

(١) العقل الظاهري

١/ تنكر

٢/ نظر

٣/ شهود

(٢) العقل الباطن

١/ تدبر

٢/ تذكر

٣/ تاويل

(٣) العقل الإبداعي

١/ حكمة

٢/ إبصار

٣/ نفقه

شكل رقم (١٣)

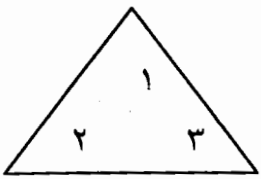

(١) مكونات التفكير

الخطوات

١/ وعي

٢/ إحساس

٣/ إكتشاف

(٢) االأشكال

١/ واقعي

٢/تجريري

٣/ شامل

(٣) الأنواع

١/ منطقي

٢/ تجريبي

٣/جمالي

أما مكونات التفكير[١] فلها ثلاثة خطوات وثلاثة أشكال وثلاثة أنـواع كمـا أن للقدرات العقلية ثلاثة مجموعات لكل مجموعة ثلاثة قدرات[٢]

---

(١) أنظر الشكل (١٣) مكونات التفكير

(٢) راجع إفتراضنا للقاعدة النسبية الثلاثية للإبداع الفني

مكونات التفكير: ــ

أولًا: الخطوات: ــ

١/ الإحساس بالظاهرة.. ٢/ الوعي والتحديد والتعرف..٣/ إكتشاف الحكمة الكامنة فيها.

ثانيا: الأشكال: ١/ التفكير الشامل بدل التفكير الجزئي. ٢/ التفكير التجريدي بدل التفكير التقليدي. ٣/ التفكير الواقعي بدل التفكير الخرافي.

ثالثًا: الأنواع: ١/ التفكير المنطقي. ٢/ التفكير التجريبي. ٣/ التفكير الجمالي.

هذه القدرات العقلية (النامية) لها مستوياتها في التفكير الإبداعي والعمل المبدع حيث تتفاعل وتتداخل في بلورة مكونات التفكير من خلال الذاكرة العقلية.

شكل لرقم (١٤) الذاكرة العقلية

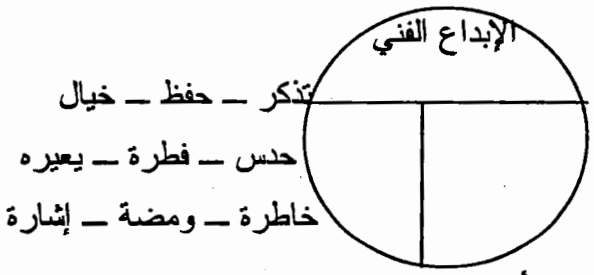

وهكذا تكون للقدرات العقلية أهميتها وفعاليتها في الإبداع الفني وذلك من خلال القدرة العقلية القادرة علي تشكيل الإدراكات وإكتشاف الطاقات والتزود بالمهارات التي تجعل الإنسان قادرًا علي التعامل مع الواقع والنهوض به إلي المستويات المطلوبة لتحقيق الأهداف الممكنة.

فمن طبيعة العقل خلق الأفكار الذاتية من خلال الذاكرة العقلية. إذ تأتي المدركات عن طريق الحس وتترجم إلي معاني مع تمازجها بما هو كامن ومختمر فتتحول إلي معارف، فيكون العقل هو معمل المعرفة الأول الذي تستخدمه الذات العارفة، فالذاكرة العقلية عبارة عن ذاكرة حسية مدركة وذاكرة لفظية حافظة تنتهي إلي ذاكرة فهمية عارفة وخلق الأفكار الجمالية التي تترجم إلي أعمال إبداعية فهمية عارفة.

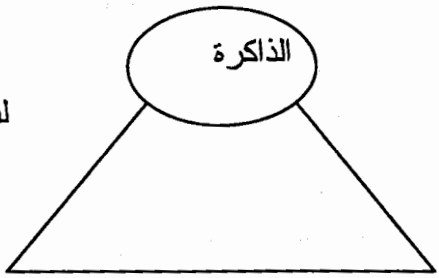

شكل رقم (١٥)

خلق الأفكار الذاتية: ــ

الذاكرة العقلية هي التي تخلق الأفكار الذاتية وذلك من خلال إستعدادات فطرية وهي الطاقة الحيوية المفطورة في الإنسان، وتحتوي هذه الطاقة (الإلهام) هو إلهام داخلي مخلوق فيه أما العوامل الخارجية فهي التي توقظ تلك الإستعدادات الداخلية وتوجيهها دون خلقها لأنها مخلوقة بالفطرة فاللإنسان قوي واعية وباطنة ومن خلالها يكون الإبداع الفني ؟

٢/ العاطفة والغريزة والوجدان: ــ

نورد هنا صلة الوجدان بالعقل من خلال الحس المشترك، وصلة العاطفة بالإرادة الإنسانية والغرائز الناتجة عنها.

قد تكون الأحكام العقلية جافة في الأحيانن بينما نجد العاطفة متدفقة في أحيان كثيرة، ولكن عند أمتزاجها فإن التناغم بينهما يجعل الإنسان اكثر فهمًا ومرونة، فالعقل كابح لجماح العطفة، والعاطفة تجعل الدفء يسري في كهوف العقل المضيئة. فالإحساس الجمالي ما بين تعبير وتذوق في حاجة إلي عقل يتعلقه ويستلهم كوامنه، فهو أيضًا في حاجة إلي وجدان قادر علي إستلهام وذلك الجمال وتأمله، فكلما أن الإنسان يحتاج منطقيًا إلي منطق العقل فهو يحتاج سيكولوجيًا إلي الإشباع الوجداني.

إستطاع " كانط " أن يتحقق من أن للنفس قوي أو ملكات ثلاثا: وهي ملكة " المعرفة " وملكة " الشعور " ثم ملكة " النزوع " وقد نص " كانط " علي المبادئ الولية الخاصة بملكة " المعرفة " في كتابه نقد العقل النظري، كما نص في المبادئ الأولية الخاصة بملكة " النزوع " في كتابة نقد العقل العملي، ولم يبقي عليه بعد ذلك سوي أن يبحث عن المبادئ الأولية الخاصة بملكة " الشعور " في كتابة ملكة (الذوق).

والظاهر أن قراءة كانط ل " مندلسون " هي التي أيقظته فيما يتعلق بعلم الجمال فقد جعلته يخرج من ثنائية " العقل والإرادة " التي كان قد أخذها من " ليبنتز وفولف " لكي يسلم مع مندلسون بوجود قوة أو ملكة بشرية ثالثة

شكل رقم (١٦) " أ" "ب"

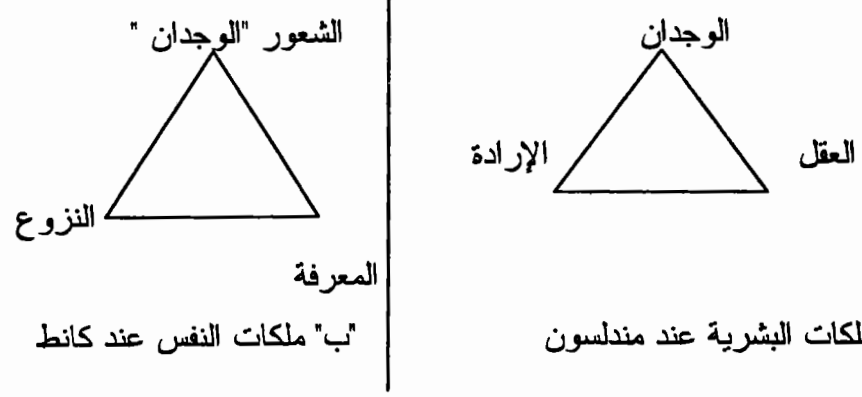

"أ" الملكات البشرية عند مندلسون "ب" ملكات النفس عند كانط

هي ملكة " الوجدان التي تشعر عن طريقها باللذة والألم فلم يلبث أن إنتقلا من فكرة الذوق إلي فكرة نقد ملكة الحكم[١] ويقرر كانط أن الذوق هو حكم جمالي قوامه الوجدان وقوام الوجدان الإرتياح والرضاء والإشباع الجمالي وهي لذة يستمتع بها المتلقي والفنان للقيم الجمالية ويستحسنها لما فيها من قيم موضوعية لغاية جمالية ومع أن الوجدان هو حكم ذاتي إلا أنه كلي في النفس الوقت لإسنادة إلي الحس المشترك حيث يقبل التوصل مع الآخرين، فالفن رسالة، ولو لم يكن

(١) أنظر الشكل رقم (١٦) والمراجع كانط والفلسفة النقدية ص ٢٣١

للوجدان والذوق من حس مشترك لما أمكن أن تكون للأحكام الجمالية " قيمة ذاتية " لما أمكن أن توجد أعمال فنية نموذجية أو مثالية يختذ بها الفنانون بإعتارهم أمثلة للقدوة والهداية لا للمحاكاة والتقليد.

لكن كانط لم يرد منذ البداية ان ينظر إلي الظاهرة الجمالية بإعتبارها ظاهرة عقلية بل حرص علي القول بأن المجال الجمالي هو الوجدان، لا مجال الإدراك والمعرفة، في حين أن ليبنتز ومن بعده فولف لم يقوما بأي فاصل بين الوجدان والعقل [١] ونحن إذ نؤيد " ليبتنز ووفولف " لما ذهبا إليه بعدم التفرقة بين الوجدان والعقل، ويكون ذلك إذا ما فهمنا بأن الذوق حكم تأملي ذات إحساس مشترك عند تلاقي الملكات الأولية في توافقها مع العقل والإرادة، وهذا الحكم التأملي والوجداني هي لاتجربة تأملية والتجربة حالة عقلية، فيكون التأمل والوجدان حالة عقلية.

ونستعيد قول " كاسير " في هذا الموضوع حينما قال التجربة الجمالية، تجربة تأملية حالة عقلية مختلفة عن برود أحكامناالنظرية ورزانة أحكامنا الأخلاقية، لأنها مفعمة بأشد طاقات العاطفة حيوية، إلا أن العاطفة هنا قد إستحالت إلي يعاطفة تستذكر في هدوء[٢] أما الغريزة فهي كلمة تكاد تكون غامضة مما أدي البحاث إلي تجنبها، ولذا سوف نقتصر استخدامها علي الحيوان، وإن أستخدمت في الإنسان فبقدر وجود العواطف ووجود العواطف توجد بمقدار الإرادة في الإنسان الإرادة موجودة في الإنسان بقدر ما فيه من تعقل، والعاطفة حالة وجدانية متولدة عنها كما أن الغرائز عادة عضوية مصاحبة لعاطفتها.

الأفعال الغريزية التي تصدر عنت الحيوان هي لا إرادية في أغلب الأحوال، أما الحركات الغريزية الإنسانية فهي صادرة عن الإنفعالات العاطفية، لأن العواطف هي حركة عقلية قد تكون شعورية أو لا شعورية، المهم أنها

---

(١). زكريا إبراهيم ــ كانط أو الفلسفة النقدية، مكتبة مصر ص ٢٧١

(٢). إرنست كاسي، فلسفة الحضارة أو مقال في الإنسان، بيروت ص ٢٥٦

حركة عقلية متولدة عن العقل إذن العواطف وما تصاحبها من غرائز لا تنفك عنها إلا إذا حالت الإرادة العقلية دون ظهورها.

الغرائز وعواطفها لم تسبق العقل في الوجدان، بل أنها نتيجة طلب العقل ورفضه، ومن ثم تولد حالة وجدانية هي العاطفة كما تولد عادة عضوية هي الغريزة المصاحبة لعاطفتها[1] إذن الغريزة عادة عضوية متولدة من العاطفة والعاطفة حالة وجدانية متولدة من العقل، فيكون كلاهما " العاطفة وغريزتها " حركة من الحركات العقلية، أي بمعني إنها ناتجة من قوة عقلية، والفرق بين العواطف والغرائز والعقل، هو العواطف وحركة عقلية لا شعورية ناتجة من الشعور العقلي كما أن الغرائز حركة جسيمة لا شعورية تابعة لحركة العواطف الناتجة عن الحركة العقلية الشعورية.

إن العواطف تنبت في تربة الميول الفطرية " الإرادة" وأنها تتجدد عندما تظفر بموضوعها " إدراك " ثم تنمو وتقوي تحت تأثير الألفة والعادة " تذكر وحافظة " وتتابع التجارب الإنفعالية " الإستنتاج " التي تغذيها حيناً والتي تهددها حيًا اخر، ويكون أثر الألفة والعادةقويا في تكوين العواطف[2]

ملكات العقل كثيرة ولكنها تندرج تحت ثلاة طوائف، علي حسب ما نري وهذه المنلكات هي: ــ

أولًا: ملكة الإرادة: وتندرج تحتها الإدراك والعاطفة والإحساس.

ثانيا: ملكة الذاكرة: وتندرج تحتها الحافظة، والخيال والإستدعاء

ثالثًا: ملكة الإستنتاج وتندرج تحتها التعبير والتذوق والذكاء

إلا أن الذكاء ليست ملكة بل هي نتيجة لملكات عقلية والذكاء ناتج لنشاط ملكة الاستنتاج والتي ينتج من حضور البديهة والناتجة عن النشاط ملكة الإرلدة ن

---

(١) عبد الجبار الوائلي ــ وحدة الوجود العقلية، عويدات ــ بيروت ص ٣٤

(٢) الفقرة ليوسف مراد ــ مراد كتاب مباد علم النفس العام ــ القاهرة ص ٣٤، والكلمات الموضوعية بين قوسين لعبد الجبار الوائلي في كتابه وحدة الوجود العقلية بيروت ص ٣٠ ــ ٣٥

وخصوبة الخيال الناتجة عن ملكة الذاكرة إذن الذاكرة ناتجة من ملكات العقل الثلاثة " الإستنتاج، الإرادة، والذاكرة " أو بالاصح الذكاء نتيجة لهذه الملكات فهي خارجة ونتيجة لملكة الإستنتاج والتي هي بدورها ناتجة عن ملكة الإرادة المدركة والذاكرة الحافظة[1] إن لم يكن للعقل إرادة لأصبحت حركة الية، إلا أن حركة العقل دينامية، ووجود ملكة الإرادة هو إعتراف بوجود ملكة إحساسية وإدراكية ومنت ثم عاطفية، والعاطفة ملكة وجدانية تنتقل من الذاكرة للإرادة، والإرادة هو العقل الواعي أو العقل الظاهري، الذي يستمد ذاكرتة من العقل الباطني.

ووجود عقل باطن " الذاكرة " يتضمن ملكة الحفظك التي تحتفظ بالأفكار المدركة ليستفيد من التجارب السابقة ولإستدعائها عند الحاجة باستخدام الخيال.

ومن خلال ملكتي الإرادة والذاكرة تنتج ملكة الإستنتاج، إذ تكون المدركات والإحساسات والمعارف من خلال العقل الفطري والمكتسب مكونه الدور لبثالث للعقل والذي به يعبر ويتذوق وستنتج ثم يبدع.

شكل رقم (١٧)
ملكات العقل الثلاثة

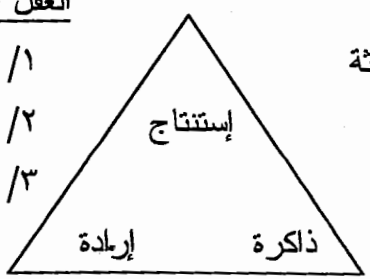

(١) انظر الشكل (١٧) ملكات العقل الثلاثة

الغريزة هي بمثابة التمثيل الحركي لطبيعة العاطفة، كما أسلفنا فعاطفة الحزن مثلًا لها صلة بغزيرة البكاء، فالبكاء هو التمثيل الحركي لعاطفة الحزن، وكذلك عاطفة السرور لها صلة بغريزة الإبتسامة، وهكذا كل العواطف لها صلاتها بالغرائز المصاحبة لها سواء كانت حركة جسمية أو حركة نفسية [1]

العاطفة وغريزتها

ونخرج من الجدول " العواطف وغريزتها والحركة المصاحبة لها" بأن للعواطف

العاطفة	غريزتها	العلاقة	الحركة المصاحبة لها
١/ اللذة	إنطلاقة	جسمية	إنبساط في الجسم وإرتخاء في الوجه
٢/ الألم	عبوس	جسمية	توتر في الجسم وتقلص في الوجه
٣/ السرور	إبتسام	حسمية ونفسية	إنبساط الأسارير ولمعان في الوجه
٤/ الحزن	بكاء		تقطب في الجبين وإنطفاء للعينين

حركاتها التي تؤثر في الجسم والنفس، وهناك فروق في هذا التأثر علي الجسم والنفس، وإذ نجد أن عاطفتي اللذة والألم يفترقان من عاطفتي السرور الخزن، بأن الأوليتين جسميتان أي ذات علاقة مباشرة بالجسم بينما السرور والخزن نفسيتان جسميتان، فالحزن يرافق الخسارتين الجسمية والمعنوية، بينما السرور يصاحب منفعتها، وبينما نجد أن الألم لا يصاحب إلا الخسارة الجسمية وحدها.

وهناك عواطف إيجابية وأخري سلبية، فالإجابية مثل الحب والحنان واللذة والسرور في حين أن العواطف السلبية نجدها في الحقد والغضب والخوف والحزن والأوهام، ومن الممكن " ترويض " عاطفة وإضعاف أخري إراديًا وذلك بتقوية عاطفة معارضة أو مقابلة لها مثلًا الإيحاء بالحب فتتضاءل عاطفة الكراهية المقابلة،إذن من الإمكان ترويض العواطف وتوجيهها إراديا وذلك بالاتزان النفسي من خلال الملكات العقلية.

---

(١) انظر الجدول: العاطفة وغريزتها والحركة المصاحبة لها

وهذه العواطف نتاج حب الذات وشعار الإرادة البحثة عما ينفعها وهي الأنانية حتى الغيرية المعاكسة للأنانية هي أيضًا أنانية لما فيها من نفع مادي أو معنوي فالذي يضحي بنفسه من أجل غيره فلا تخلوا تضحيته هذه من أنانية لأنه يطلب جزاءًا دونويًا أو أخروية كالإكبار والتقديس والدنوي أو السعادة الأخرى إذن العواطف مبعثها المنفعة وشعارها الإرادة وغرائزها تابعة لها ولإنفعالتها العاطفية كما أننا نجد أن حركات ليست عاطفية.أو غريزية وهي عادة مكتسبة كامشي والكتابة وهي بالطبع إرادية وهناك حركات داخلية (غير إرادية) كعمل الجهاز الهضمي أو الدورة الدموية.

فالحركة الجسمية تنحصر في انها إما إرادية مكتسبة يتحكم فيها الإنسان أو لا إرادية داخلية غير مكتسبة، أو لاإرادية (غريزية) ناتجة عن إرادة العاطفة.

والحركات الغريزية هذه تتحرك مصاحبة لحفظ الذات والبعد عن الألم وإستجلاب اللذة، فهي إذن حركات تمليها ضرورة نفسية وجسدية وجمالية، وعلي ذلك يمكن لنا أن نفسر بأن جميع الحركات الشعورية واللاشعورية بالغرائز المتحركة بعواطفها والعادات الإستمرارية ذوات الأساس العقلي الإرادي.

حتى العمال العاطفية الغريزية اللاشعورية في أصلها هي أعمال شعورية أي إرادية استنتاجية تقادم عهدها حتى أمكنها القيام بها دون جهد عقلي أوضح.

كما أن العقل مجموع أفكار فالعواطف ايضًا أفكار، والفرق بينهما في النشاط الإستنتاجي الموجود في العقل والمنعدم في العاطفة وذلك لعدم حاجة العواطف للإستنتاج، لأن العواطف أصلًا من وضع العقل وقد إختارها بالإستنتاج.

وهكذا تشارك العواطف العقل في كل ملكاته إلا ملكة الإستنتاج، لأن العاطفة مستنتجة بهذا نجد العواطف تريد ولا تنفك عن الإرادة بدون اي إحساس إستنتاجي، وهذا هو السر في تسميتها باللاشعور إذن العواطف هي شعور في الحقيقة.

إنفعال

شكل رقم (١٨)

نخلص بأن العقل هو المسئول عن جميع الأفعال والإنفعالات سواء كانت إرادية أو لا إرادية أو كانت شعوريه أو لا شعورية، وهو مسئول أيضًا عن الأحاسيس والعواطف والإنفعالات م خلال الحس المشترك.

ولا تناقض بين الشرح المنقول والحق المعقول، غستنادًا إلي قول الإمام الغزالي، حيث يقول " إن لا معانده مع الشرع المنقول والحق المعقول.. فاعقل مع الشرع نور علي نور أولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر صلي الله عليه وسلم، وبرهان العقل الذي عرف به صدقه فيما أخذه.. وقد خاب علي القطع والثبات من لم يجمع بتاليف الشرع والعقل[١]

(١). حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر ــ مطبعة المانة " القاهرة ١٩٨٧م " ص ٧٥ مقتبس من كتاب لاالغزالي الإقتصاد في الاعتقاد ص ٢ــ٣ وميزان العمل ص ٣٣٧ــ ٣٤١

٣/ دور العقل في المعرفة: ــ

نظرية المعرفة هي طبيعة العقل وخواصة وإمكاناته وحدوده، ونوعية الإتصالات الاعقلية بالأشياء المدركة.

يري باركي " أن المعرفة البشرية ثلاث: إما أن تكون أفكار قد إنطبعت أثارهـا بالحواس، وإما أن تكون أفكارا أدركناها بالتأمل في عواطفنا وخلجات عقولنا، أو هي أفكار كونتها الذاكرة والخيال[١]

إذن المعرفة البشرية عند " باركلي " تنتج من ثلاثة أفكار نضعها فـي محـاور ثلاثة:

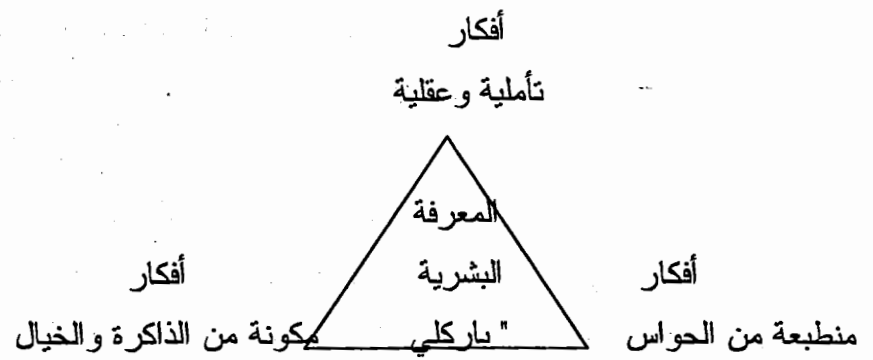

شكل رقم (١٩) المعرفة البشرية عند باركلي (١٦٨٥ــ ١٧٥٣)

أما " هيوم " فيري أن معرفتنا حاصلة من هذه الأفكـار أو الظـواهر التـي تدركها حواسنا وقال "لوك " ١٦٢٢ــ ١٧٠٤) قبل باركلي وهيوم) علي قبولـه أن جميع أفكارنا جاءت به الحواس من دون أن نلتزم بنفي العقل، لأن فينا ملكات عقلية لا نستطيع إنكارها.

---

(١). عبد الجبار الوائلي: وحدة الوجود العقلية ص ١٠ وراجع الموسوعة الفلسفية " باكلي " ترجمة فؤاد كامل.

فالإرادة موجودة فينا ولا نستطيع نفيها.. ومحاولة نفي ملكات الإرادة فينا دليل علي وجودها... وعلي هذا لابد أن تنهار حجج (هيوم) في نفي العقل، وتتماسك بعض الشئ فلسفة " باركلي " الذي قال بوجود العقل من دون أن يستدل علي هذا الوجود.. ولا أستطيع إلا الإيمان بإمتلاك ملكة الإرادة مع أنها ليست معطيات الحواس، ولابد من لا يريد لا يستطيع أن يعمل، ومن لا يعمل لا يفكر ولا يحس(١).

والنتيجة التي توصل إليها " كانط " في نقده لما بعد الطبيعة هي أنه برهن علي أن فلسفة ميتافيزيقية يجب أن يسبقها أولا النظر في حدود قوتنا المدركة.
وتقول الفلسفة الميتافيزيقية في حد الإنسان أنه " حيوان ناطق" أي عاقل، ولكن هذا التعريف علي قوته لا يحيط بحقيقة الماهية الإنسانية، ويقرر " أرسطو " أن " الأغنسان حيوان اجتماعي " وهذا التعريف أيضًا قاصر فهناك حيوانات اجتماعية مثل النمل والنحل، ويقول أفلاطون " لا تستطيع أن تفهم ماهية الإ حين تفهم الدولة " ولكن الحياة السياسية ليست هي الصورة الوحيدة للوجود البشري.

وجاء " كونت " بالوضعية ليفسر الإنسان بالإنسانية، أو الإنسانية بالإنسان، أم " كانط " فقد ميز بين العقل الإنساني وغيره، بأن للعقل الإنساني القدرة علي التميز بين الواقعي والممكن،وهذا الشئ غير متوفر لدي الكائنات الأخري، وهذا التمييز يكشف عن عرفتنا للأشياء لا عن طبائعها.

أما " كاسير " فقد مقوله " كانط " من أن العقل اللإنساني في حاجة إلي رموز حيث يقول في تعريف للإنسان " بأنه حيوان ذو رموز " (٢).

ونضيف إلي مقولة " كانط" و " كاسير " في تعريفها للإنسان بقولنا " أن الإنسان هو الشخص الذي له إمكانية إبداعية، وليس الحيوان الناطق أو العقل،

---

(١). الموسوعة الفلسفية ــ ترجمة فؤاد الكامل وأخرين مراجعة زكي نجيب محمود ص ٣٣٦ــــ ٣٧٣. دار القلم بيروت باركلي (٩٣ ــ١٠٣) جون لوك (٥٢٥ ــ ٥٣٣) هيوم (٥٢٥ ــ ٥٣٣).

(٢). إرنست كاسير ــ مقال في الإنسان ــ ترجمة إحساس عباس، بيروت ص ١١

وصفت النطق والعقل هما صفتان مفارقتنا للحيوان فلا يصح قرنهما بـــالحيوان، لأن الحيوان ليس بناطق أو عاقل وفي نفس الوقت ليس الإنسان بحيوان، كما لا يصح مقارنة الإنسان بالحيوان والتفريق بينهما بصفة من الـــصفات، فالإنـــسان إنسان والحيوان حيوان ولكليهما الصفات الخاصه به، وأن إندراجها تحت " أحياء " فالنباتات والحشرات أيضًا أحياء ولهذا علينا أن نقول إن الإنسان هـــو الـــذي يمتلك قدرة علي الإبداع أو الذي يمتلك عقلًا فنيًا قابلًا للإبداع بإختصار " الإنسان هو الكائن الإبداعي "(١).

فالإبداع معرفة والمعرفة فكر، والفكر الإنساني مكون من لبنات ثلاثة: من " كيفي " إما سلبي أو إيجابي " وكمي " خاص أو عـــام، ثـــم " تـــأليف " حتمـــي وإفتراضي.

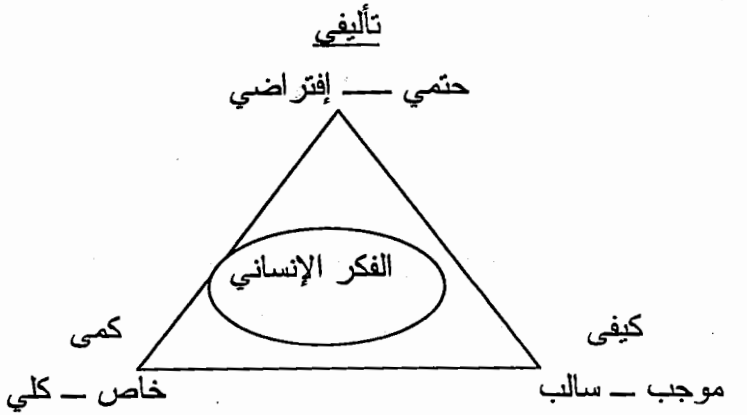

شكل رقم (٢٠)

بنية الفكر الإنساني

---

(١). لا أقصد أن كل إنسان مبدع بل هو كائن فيه صف الإبداع قد يكون مبدعًا أو غير مبدع ــ وليس كل نشاط هو إبداع فيمكن لنا أن نقول أن كل إنسان قوة نشطة وليس بالضرورة قوة إبداعية.

هذا هو الإنسان " الذي له إمكانية الإبداع " أما الحيوان فيولد بغرائزه، يتعلم الحيوان ولكن ليس عن طريق الاكتساب، والخبرة كالإنسان ــ بل التكرار والتقليد مدفوعًا بغرائزه الأولية والتدريب مثل حيوانات السيرك.

أما اللإنسان فهو أيضًا يولد علي الفطرة ولكن فطرتة تختلف عن فطرة الحيوان، حيث يطور الإنسان إحاسيسة حتى يصل إلي درجة من الوعي تمكنة من اكتساب القيم الجمالية.

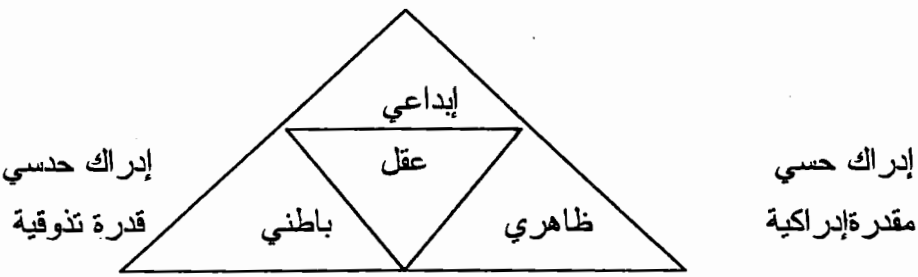

شكل (٢١)

بالمران والتعليم والتدريب والتجريب والتطوير حتى يغدو (كائنا إبداعيًا).

إن لم يكن للكائنات إبداع فلا يعني هذا أن كل إنسان مبدع بل يعني أن للإنسان قوة قابلة للإبداع غير موجودة عند باقي الكائنات.

اكتساب القيم الجمالية ميزة إنسانية لا يتأتي إلا

١/ بإمتلاك: قدرة إدراكية بالادراك الحسي منخلال العقل الظاهري.

٢/ وإمتلاك: قدرة تذوقية بالإدراك الحدسي من خلال العقل الباطني.

٣/ وإمتلاك: قدرة إبداعية بالإدراك الجمالي من خلال العقل الإبداعي [١]

---

(١). انظر الباب الثامن (العقل الإبداعي)

وهكذا يكون العقل الإبداعي من خلال توجيهه للعقل الظاهري وإيقاظه للعقل الباطني والسيطرة عليها بإعطاء العقل القدرة الإدراكية والتذوقية والإبداعية من خلال إدراك حسي وحدسي وجمالي.

للحيوانات عقول فهي لها عقل ظاهري وباطني وغريزي، ولكنها لا تمتلك العقل الإبداعي، مكمن الإبداع الفني، فالعناكب والنحل تبني بيوتها وخلاياها بطريقة هندسية بارعة ولكنها ليست واعية ولا رائعة لأنها تعمل من خلال عقل غريزي من خلال أساليبها المعرفية الغريزية.

وأجهزت المعرفة لدي الإنسان تتكون من إستقبال وإستجابة ثم رجع لهذا الإستقبال والاستجابة له، والعمل بمقتضي المعارف الإنسانية، في حين أن للحيوان إستجابة وإستقبال إلا أنه يتعامل معها بردود الأفعال [1]

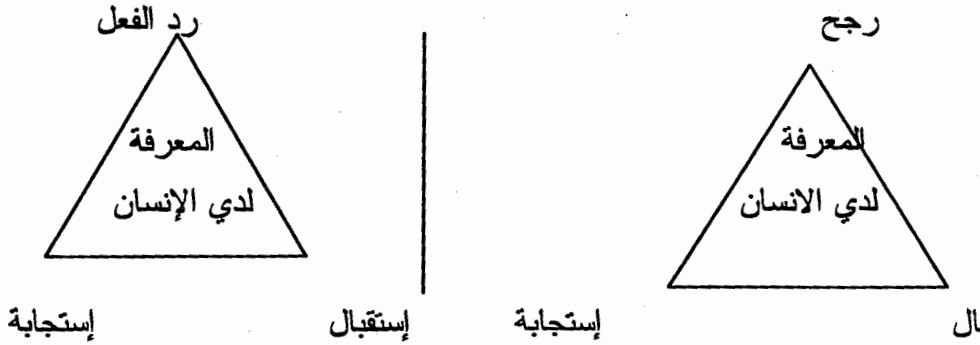

شكل رقم (٢٢) أجهزة المعرفة لدي الانسان والمقابل عند الحيوان

اما الذاكرة لدي الانسان فهي مناسبة في تحفز للإستدعاء فتتضاف المعارف الجديدة إلي المعارف القديمة فتولد معارف جديدة عليها معارفها، أما الذاكرة لدي الحيوان فهي " ذاكرة " لحظية يبدأ كا تجربة بداية لحظية ولا يضيف جديدا فمعارفه غير متطورة وشبه ثابتة [2]

---

(١) انظر شكل (٢٢) اجهزة المعرفة لدي الانسان والمقابل له الحيوان.

(٢). انظر الشمل (٢٣) الذاكرة الانسانية

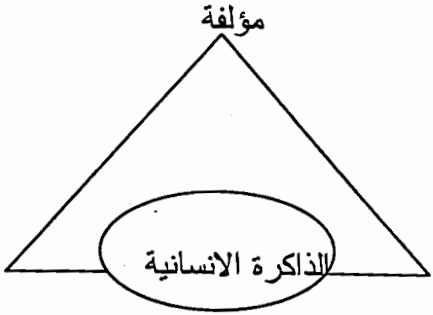

شكل رقم (٢٣)

اذ نجد أن مراحل الادراك المعرفي يمر بمراحل خلال مراحل ثلاث متتالية:

١/ إدراك كلي أولي دون تحليل للعناصر الجزئية، والادراك هو معطي ثـانوي للإحساس الاولي فيعطي الادراك الإحساس معني " عقل ظاهري "

٢/ ثم يدرك المدرك الجزيئات ويتعرف علي دلالاتها المعنوية ويربط أجزائهـا بالذاكرة المناسبة من خلال التداعي والتخيل والتوهم لمعني غير محسوس " عقلي باطني "

٣/ ثم الصعود في الكل من خلال جزيئاته والمعاني المنضافة إليه مـن خـلال التأمل والمعرفة ثم التصور [١]

(١). انظر الشكل (٢٤) الادراك المعرفي للانسان

شكل رقم (٢٤) الادراك المعرفي للانسان

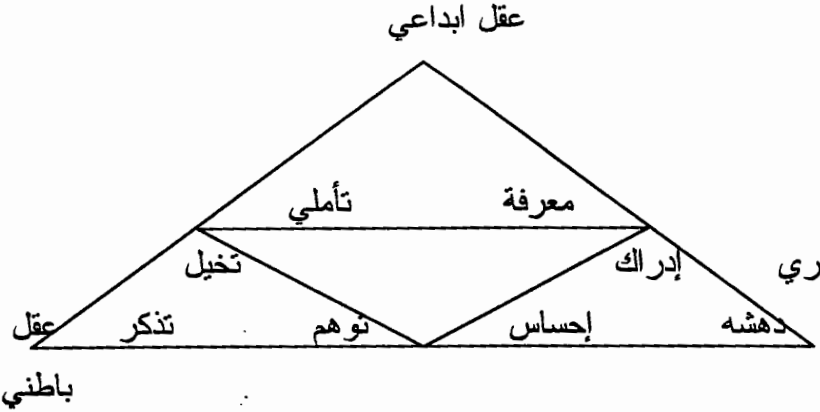

وهكذا يصل الانسان اليقين المعرفي بتضافر ثلاث قوي وهي:

١/ القوة الظاهرية: في الادراك الاحساسي المحس وإدراك ظواهر الموجـودات من خلال إدراك وأحساس ودهشة.

٢/ القوة الباطنية: من الادراك التذكري الباطني وتأليف الصور المحسوسة مـن خلال تذكر وتخيل وتوهم

٣/ القوة الإبداعية: في الادراك التأملي الإبداعي واستخلاص معارف جديدة من خلال معرفة وتأمل وتصور.

ومن اهم ما يفرق الحيوان عن الانسان والمسيطرة للحيوان وهي تقابل الغرائـز الانسانية التي تنتج من العواطف [١]

إذن الغريزة كما قلنا هي الموجهه والمسيطرة للحيوان وهـي تقابـل الغرائـز الانسانية التي تنتج من العواطف[٢] وهذا العقل الغريزي عند الحيوان يقابل العقل الإبداعي لدي الانسان [٣]

---

(١). زكي نجيب محمود ــ المعقول واللامعقول ص ٣١٥.

(٢). ارجع الفصل السابع ــ العاطفة الغريزية.

(٣). انظر الشكل (٢٥) العقل الانسانى.

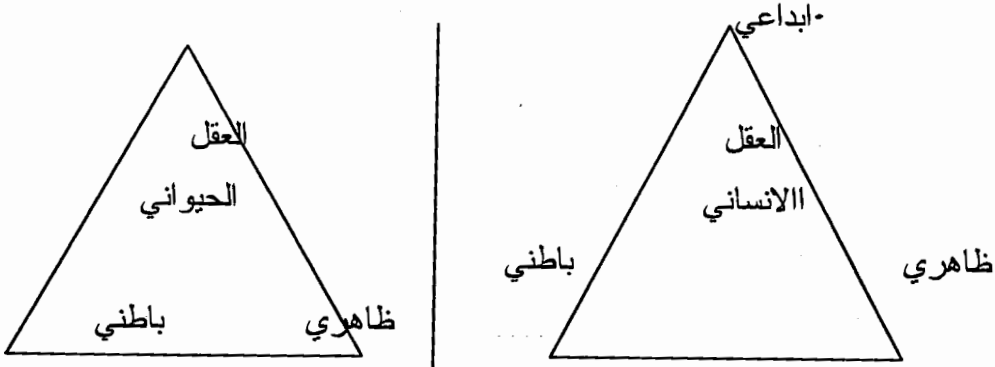

كما وأن الانسان يري الاشياء الجميلة والقبيحة ببصره، وتحملاليه الاعصاب البصرية لئغدراكة الذهني صور عنها وعن كفاياتها، ثم يأتي دور العقل ليصح معاني الصور المحمولة للذهن ويعللها بطريقة التأمل الفكري فيوضح كيف يكون اللون الأحمر، وهذا اللون الأحمر يعطي معني السرور والخطر في نفس الوقت إذن ليس الحكم للون بل الحكم يرجع للشعور.

فاللون الأحمر فيه فوزع وفرح وفيه رعب وبهجة، فيكون المصحح لهذا الأمر ليس البصر الذي رأي اللون ولا العقل الباطني " المستور " وليس العقل الظاهري والذي أداته البصر الذي أبصر اللون، فلا سبيل لنا إلا البحث عن العقل ثالث نجد فيه خصائص الإدراك الجمالي، وهو ما نعنية " بالعقل الإبداعي " الذي سيتبصر الأشياء من خلال البصيرة[1] وهو ما يطلق عليه "باللب " حيث يخاطب سبحانه وتعالي الإنسان ب " يا أولي الألباب " وهو ما نريد أن نطلق عليه فلسفياً " بالعقل الإبداعي"[2]

والعقل ينفي عن المجنون والأحمق... وهو نور في القلب كالنور في العين ويسمي الفهم والبيان عقلا، والعرب تسمي الفهم عقلًا لأنها ميزته وضبطته وهو

---

(١). ويطلق علي البصيرة: / الضمير في علم النفس..٢/ السرية في علم الأديان..٣/ الوجدان في علم الجمال.

(٢) انظر الباب الثالث (العقل الإبداعي)

البصيرة والمعرفة [١] تندرج صور الإدراك، حسًا فعقلًا ثم بصيرة [٢]والمعرفة تبدأ بالإدراك من خلال منافذ الحسية ثم يقوم العقل بتفهم هذه الإدراكات وتأتي البصيرة لتستبصرها وتحول هذه الإدراكات الحسية إلي إدراكات معرفية من خلال العقل الإبداعي، حيث يقوم الوجدان بالمهام الجمالية، والسريرة بالمهام الإيمانية، والضمير بالمهام النفسية.

فالإدراك العقلي هو إدراك للروابط الضرورية بين فكرة وفكرة تلزم عنها أو تستدل منها أما لزومًا يقينيًا في حال الرياضيات أو إستدلالًا ترجيحيًا في الطبيعيات [٣] ويري التجريبيون أن للعقل حركة إستدلالية من معلومات إستمدها الإنسان عن طريق الحواس اكتسابا، بينما يري المثاليون أن للعقل حركة إستدلالية من صور أولية نظرية لم تكتسب من دنبا التجربة. والمهم هنا أن نستدل بأن للعقل حركة إستدلالية.

فاللعقل حركة [٤] وهي حركة إنتقالية دائمة التنقل ينتقل بها الإنسان من خطوة إلي خطوة حتى تنتهي به تلك الخطوات إلي الهدف المنشود، سواء أخذ من العقل الباطني أو من الخارج أو دمج بينهما في عملية موحدة. وهذا وقد أعتمد التجريبيون علي تجربة وحدها، وقالوا بأنه لا شئ موجود في الذهن غير وجود الشئ في الخارج، وقال المثاليون أنه ليس في العالم الشئ شئ سوي تصوراتنا الذهنية عن عالم الذات [٥] وبهذا أعتمد التجريبيون علي التجربة أساسا لكل معرفة، كما أعتقد المثاليون في إمكان المعرفة بالعقل الصرف بدون تجربة مما

---

(١). علي شلق، العقل في مجري التاريخ، بيروت ــ ٢٩ مقتبس من الكتاب المسائل للمحاسبي ص ٢٣٩

(٢). زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول ص ٢٣

(٣). نفس المرجع السابق ص ٢٣

(٤). والحركة الثلاثية " في الكم، والكيف، والأين " وتطلق مجازًا علي: ١/ حركة النفس في الإنفعالات والميول والأهواء..٢/ حركة العقل والآراء والأفهام..٣/ الحركة الزمنية في النحت والتصوير والعمارة.

(٥) الموسوعة الفلسفية ــ التجريبية (١٤٩ــ ١٥٦) المثالية (٤٠٣ ــ ٤٠٦).

أوقعهم في تناقض، وهو فهم قاصر للعقل لأخذهم العقل من جانب واحد أو تناقض الكافتين وبتناقضهما تتناقض أفكار كليهما.

ولهذا نري أن المعرفة تتحقق بالإدراك الحسي والحدسي [1] وكلاهما يعملان في تجاور وتجاوب وتداخل من خلال عقل حسي يدرك الأشياء وينقلها للعقل الباطني حيث يختزنها ويخرجها في شكل وصور ومعاني لتتداعي عند إستدعائها فتكون المعرفة بتفاعل الكافتين الحسي والحدسي من خلال العقل اللإبداعي.

---

(١). أرجع لقضايا التصوف الإسلامي ــ عبد الله حسن زروق ص ١٨١ ــ ١٩٤